مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 03 السنة 2022 ص 556 - 574

تاريخ الإرسال: 2020/04/11 تاريخ القبول: 2022/08/25
تاريخ النشر: 2022/10/07

شعرية السرد وتداخل الأنواع الأدبية في شعر عز الدين ميهوبي قصيدة "شيء من سيرة الطفل المشاغب" أنموذجا

The poetic narration and the intertwining of literary genres in the poetry of Izz al-Din Mihoubi A poem "Something from a Naughty Child Biography" as an example

عبد الرحمن بوترعة
المركز الجامعي النعامة ؛ Boutera_2014@outlook.com

الملخص:

إن إشكالية تداخل الأجناس الأدبية،تعد من أكثر القضايا النقدية المعاصرة التي أوجدت جدلا كبيرا بين النقاد–بين مؤكد لوجودها ومنكر ورافض لها بحجج يدفع بها كل طرف لنصرة وجهة نظره–غير أنها ساهمت في خلق نوع أدبي سماه أدونيس: بنص المستقبل والنص المزيج والنص الكلي الذي، لاحدود فيه بين الأجناس ولا حدود له،فالأمر هذا لا ينظر إليه سلبيا،لان فيه إثراء لجميع الأنواع الإبداعية لأنها ليست نقية من الاختلاط والاندماج مع بعضها البعض داخل الأنساق الثقافية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الشعر– السرد –التداخل –الأجناس– الأنواع –نقية –الاندماج– الإثراء –النص المزيج.

Abstract:

The problem of overlapping literary races is one of the most contemporary critical issues that have created a great controversy among critics - between those who are certain of their existence and who denies and rejects them with arguments pushed by each party to support his point of view - but it contributed to creating a literary genre he called Adonis: the text of the future, the mix text and the overall text Which, there is no boundaries between races and has no boundaries, this matter is not viewed negatively, because it contains the enrichment of all creative types because they are not pure of mixing and merging with each other within cultural and social systems.

keywords: Poetry - Narration - Interference - Races - Species - Pure - Fusion - Enrichment - Mix Text

المؤلف المرسل: بوترعة عبد الرحمن BOUTERA_2014@OUTLOOK.COM

مقدمة:

إن مقاربة القصيدة العربية، من حيث العلاقة الوشيجة والمتداخلة بين الشعري والسردي، تثير عدة تساؤلات متصلة بالإبداعات الشعرية الخارجة عن القوالب الجاهزة والخاضعة للشرط الجمالي، الذي يرسّخ هذا التداخل بين الأجناس الأدبية، وهو أمر ليس بالجديد. فالقصيدة القديمة تميزت بهذا الحضور لما هو شعري في اندماج مع ما هو سردي، بل هناك غلبة واضحة للنفس القصصي في المتن الشعري القديم.

ولعل نصوص امرئ القيس وعمرو بن كلثوم وعنترة وشعر الصعاليك وشعر عمر بن أبي ربيعة دليل على عمق هذا الترابط،وعليه كانت الإشكالية المطروحة هي:هل ممكن أن يشكل السرد والشعر معا جنسا أدبيا واحدا حسب الرؤية النقدية المعاصرة؟ وكيف يرى النقاد حضور آليات السرد في الشعر الجزائري

المعاصر؟ من منطلق التساؤل عن سر هذا التداخل –سواء أكان ضرورة جمالية أو حتمية زمنية وحضارية– فإنه من لزوم المعرفة وجب الوقوف على تعريف الشعر والسرد من قبل القدماء والمعاصرين حتى نقف على حدود كل جنس ونبرر هذا التعايش،نستحضر هنا تعريف الشعر عند ابن سيرين(ت110ه):بقوله "الشِّعر كلام معقود، عُقِد بالقوافي ،فما حسن في الكلام حسن في الشعر، وكذلك ما قبح منه»1

وعند الجاحظ(ت250ه): «كل أمَّة تعتمد في استيفاء مآثرها، وتحصيل مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العربُ في جاهليتها تحتال في تخليدها بأنه تعتمد في ذلك على الشِّعر الموزون، والكلام المقفَّى، وكان ذلك ديوانَها»[2]

ومن ذلك تعريف ابن طباطبا العلوي(ت322ه): الشِّعر كلام منظوم، بائنَ عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خُصَّ به مِن النَّظْم، الذي إن عُدل به عن جهته مَجَّتْهُ الأسماعُ، وفسَد على الذوق »[3]ومِن هذه التعريفات تعريف قدامة بن جعفر(ت337ه) المشهور الذي يكثُرُ تداولُه، ويحتجُّ به بعض الدارسين المحدَثين، وهو قوله: "الشِّعر كلام موزون مقفًّى يدلُّ على معنى»[4]وإذا عرضنا هذه التعريفات الاصطلاحية للشعر،فإن الكثير منها تم استثناءه، لا لعدم أهميته بل لذكرهم لها بسعة.

ومن المحدثين والمعاصرين ممن تناوبوا على تعريف الشعر مع تباعدهم قولهم: «هو صنعة معقدة تخضع لقواعد صارمة في دقتها،بحيث لا ينحرف عنها صناع الشعر،إلا ليضيفوا إليها قواعد أخرى، ما تزال تنمو مع نموه وتتطور مع تطوره» [5] ونرى أن رواد الشعر الحر يرفضون تلك القيود للشعر؛ بل أقروا بأنه ينشأ من: « من امتزاج عناصر متعددة ومتنوعة وقد تكون متناقضة،فالخاص يمتزج بالعام،والذات تمتزج بالآخر،والأنا تتماه في المجموع لتكون هذا المنجز الجمالي»[6]؛

أما في ذكر مصطلح السرد فلا أدل عليه من قول الله تعالى في محكم تنزيله: « **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» [7] وجاء في تفسيرها عن ابن كثير(ت774هـ): قَالَ تَعَالَى : " أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَات " وَهِيَ الدُّرُوع قَالَ قَتَادَة وَإِنَّمَا كَانَتْ قَبْل ذَلِكَ صَفَائِح وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الْحُسَيْن حَدَّثَنَا اِبْن سِمَاعَةَ حَدَّثَنَا اِبْن ضَمْرَة عَنْ اِبْن شَوْذَب قَالَ : كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَام يَرْفَع فِي كُلّ يَوْم دِرْعًا فَيَبِيعهَا بِسِتَّةِ آلَاف دِرْهَم أَلْفَيْنِ لَهُ وَلِآلِهِ وَأَرْبَعَة آلَاف دِرْهَم يُطْعِم بِهَا بَنِي إِسْرَائِيل خُبْز الْحَوَارِيّ " وَقَدِّرْ فِي السَّرْد " هَذَا إِرْشَاد مِنْ اللَّه تَعَالَى لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي تَعْلِيمه صَنْعَة الدُّرُوع وَاسْتُشْهِدَ بِقَوْلِ الشَّاعِر : وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغ تُبَّع»[8] وإن كان ما نذكره هو ورود اللفظ في القرآن وما تبعه من تعريف لدلالته في التفاسير، فإن المعنى الاصطلاحي للفظة السرد وما مدى تداخلها مع الشعر هو ما نريد الاستشهاد له في هذه النظرة النقدية الاستشرافية وان كان هذا الأمر من الصعوبة في التدليل عليه بمكان، حتى أنه لقي عناية من قبل النقاد، باعتباره من أقدم الأشكال التعبيرية الإنسانية، و من المصطلحات الأكثر جدلا قرنه بعض الدارسين بمصطلح القص ومن هذه التعريفات :

قول أفلاطون السرد هو « الإخبار عن الأحداث التي وقعت في الماضي أو تقع في الحاضر أو ستقع في المستقبل»[9] نجد كذلك رولان بارت roland barthes يعرفه بأنه: «تحملة اللغة المنطوقة شفوية كانت أو م تداخل الأجناس واندماج السردي مع الشعري أو العكس نجدهم أهملوها على حد قول رينيه ويلك *Rene* Wellek– « "لا تحتل نظرية كتوبة والصورة ثابتة أو متحركة»10 وفي شأن الأنواع الأدبية مكان الصدارة في الدراسات الأدبية في هذا القرن. والسبب الواضح هو أن التمييز بين الأنواع الأدبية، لم يعد ذا أهمية في كتابات معظم كتاب عصرنا » [11]. فالحدود بينها تعبر باستمرار، والأنواع تخلط أو تمزج، والقديم منها يترك أو يحور،

وتخلق أنواع جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك ذلك أن مفهوم نظرية الأنواع أصبح في موضع شك؛ انطلاقا من كون الشعر«يحمل معنى التعدد وكثرة الأنواع، لأن الشعر ليس نوعا واحدا، وإنما هو عدة أنواع ...وهو نمط من أنماط الخطاب الأدبي يضم كل السمات اللغوية الجمالية التي تحققت بوجه أو بآخر فيما يطلق عليه الشعر»[12] فالأمر لا يحتاج إلى حُجّة للتأكيد على أن النوع الأدبي يخضع لإبدالات تفرضها المرحلة التاريخية والتحولات الاجتماعية والثقافية ومن هنا فالشعر، من طبيعته الإبداعية، ككتابة متجددة ومجدّدة تأبى الإقامة في القيود التي عرفه بها النقاد ،التي تحُدّ من انفتاحها على آفاق تعبيرية لأن « الإبداع الشعري يرفض مفهوم المغلق، المنتهي، ويرفض الطرق الشعرية التي تبحث عن حلولها في الفكر، وتخضع القصيدة لبنية العقل –كما رآها قدامة بن جعفر – لحدوده وقواعده وإلزاماته المنطقية»[13]

1- الانفتاح والتشاكل الإجناسي:

ونقصد بالانفتاح احتضان أشكال تعبيرية فرّقت بينها المقاربات النقدية، الفاقدة للعمق في الرؤية والتصورات، وترى أن استقلالية النوع الأدبي ضرورة حتمية، غير أن حقيقة الواقع تفنّد هذه الادّعاءات وتؤكد على التمازج والتزاوج بين ما هو سردي وشعري، فالتماهي والتحاور والتجاور بين الشعر والنثر تأكيد على هجنة الأنواع الأدبية –حسب باختين Mikhaïl Bakhtine – فليس هناك جنس أدبي خالص وإنما هو خليط من أجناس مختلفة، وعليه فإن « التمييز بين الأنواع الأدبية لم يعد ذا أهمية في كتابات معظم كتاب عصرنا، فالحدود بينهما تعبر باستمرار، والأنواع تخلط وتمتزج، والقديم فيها يترك أو يحوّر وتخلق أنواع جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك»[14]؛ إن هذا التعالق بين الشعر والنثر لا يعني اتفاقهما في السمات والخصائص؛ بقدر ما يدل على كون كل واحد منهما، يتصف

بصفات مغايرة عن الآخر، فإذا كان الشعر يتسم بالكثافة والإيجاز والإيحاء والتوتر والمجاز؛ فإن النثر يمتلك خصيصة الوضوح والسهولة.

وبالاطراد والتتابع على حد قول أدونيس– فإن هذا لا يحُول التأكيد على العلاقات الوشيجة بينهما «على الرغم من وجود فروق مائزة بين الأنواع الأدبية، فإن السرد بنية أصيلة في الخطاب الأدبي سواء أكان سردا روائيا أم شعريا مهما اختلفت الأنواع، لأن رغبة الإنسان في الحكي رغبة إنسانية تكشف رؤيته للأشياء وتحدد علاقته بالعالم، إنها رغبة في التطهير، والبوح وإعادة صياغة العالم وهو في حالة تجلّ»[15] .

وهذا ما يرسّخ حقيقة حضور الجانب السردي في الخطاب الشعري، وهذا دليل على حيوية هذه العلاقة التي تتفاعل « داخل تشكيل ذي تحفيزات تأليفية وواقعية وجمالية، تحمل رؤية فلسفية أو طرحا اجتماعيا أو نفسيا في شكل يمزج بين الشعرية والسردية»،[16]ومن هنا يمكن الحديث عن الكتابة .عبر النوعية أو العبور الإجناسي بتعبير إدوارد الخراط، ذلك أن النصوص الإبداعية تحفل بهذا المعطى المتمثل في التداخل ، إذ لا يخلو نص شعري ما من حضور ملامح سردية بتشكيلات مختلفة، فيما يتعلق بهذه النقطة يتساءل: « هل نظل أبد الدهر أسرى لمواصفات تاريخية سابقة، أم أن الفن بذاته، وبتعريفه هو مغامرة مستمرة، واختراق مستمر، ومهاجمة للمستحيل » [17]

والسرد في الشعر قد يحتمل التنقلات الزمنية، وقد يلجأ إلى الاسترجاع والتناص، وقد يلجأ إلى دمج الزمان بالمكان، وقد يلجأ إلى مجاورات مكانية وزمنية؛ فالسرد أصبح يجاري إحساسنا بتوترات العصر«وبالتالي اكتسب السرد في النص الشعري التفعيلي أهمية في الكشف عن مضامين هذا التحول الموضوعي في النص الشعري، ومدى الإضافة التي حققها كل من الشعر والنثر للآخر، والبحث عن

إمكانية ما لمواجهة ما يمكن أن يحدث في الواقع الأدبي من تفسخ قد يتولد عما يمكن أن يحدث للواقع الإنساني المعيش من تفكك في مرتكزا ته، وهذا جعل الأدب يبحث له عن مسلكٍ مغاير»[18] يعالج من خلاله الذات الإنسانية التي تعاني تغريباً عن واقعها.«نجد الآن في المغامرة الفنية والمتصلة والمستمرة والضرورية بطبيعة الحال أن القصة القصيرة مثلا يجب أن تفيد من منجزات المسرح.

ليس في هذا ما حاوله توفيق الحكيم أو ما أسماه « المسراوية» شيئا أعمق وأكثر تركيبا وأكثر بعدا حيث نجد الرواية في أجواء شعرية سارية، ومخامرة ، وشديدة الفعالية والتأثير و المواصفات التقليدية والحدود القاطعة بين كل نوع ونوع بل بين كل فن وفن قد تهاوت، وأنه من الممكن أن يفيد كل نوع وكل فن من منجزات الفنون الأخرى .بهذا المعنى وببساطة يمكن أن تتصور معنى أو صفات أو خصائص ما نسميه الكتابة عبر النوعية» [19]؛ ونجد محمد مفتاح يقر بأن « كل نص شعري هو حكاية»[20]، أي رسالة تحكي صيرورة ذات وعليه فهو يركز على كون السرد مرتبط باللغة وليس باعتباره بنية مستقلة، وعليه «العلاقة بين الشعر والسرد تكون محمولة على وجه آخر مفاده أن يكون الشعر أصلا لكل أشكال الكتابة الأدبية التي لا تعدو أن تكون أساليب أقل بلاغة وتميزا منه أي الشعر»[21] .

ومن ثم نؤكد على أن السرد يقول العالم بطريقة خارجية تجسّدها الشخصيات؛ في حين أن الشاعر يعتمد على البوح النابع من الداخل؛ مما يمكّنه من رؤية العالم، لكون «عالم الشعر مهما تكن المتناقضات والصراعات اليائسة التي يكشفها الشاعر داخله ، وهو دائما عالم مضاء بخطاب وحيد ومستعص على الدحض، فالتناقضات ، والصراعات، والشكوى تظل داخل الموضوع وداخل الأفكار والانفعالات، وبكلمة واحدة تظل مادة البناء الشعري لكنها لا تنتقل إلى اللغة ففي الشعر يجب أن تكون لغة الشك لغة أكيدة» [22]؛ فالعلاقة المتحكمة هنا هي علاقة

الاتصال والانفصال الوهمية، بتعبير آخر يشكّل الشعر والنثر رابطة اتصالية وانفصالية في الوقت ذاته، مما يكسب هذه العلاقة صفة التفاعل العميق بين المكونات النصية ببغية تحريك الخطاب الشعري .

إن المتأمل للنتاج الشعري العربي الزاخر بتجارب شعرية، كان لها الإسهام الكبير في تطوير الشعرية العربية القديمة التي كانت تحصر الشعر في الوزن والقافية فإنها اليوم تقر برحابته وتعدديته الإجناسية مما جعلها تنفتح على مقومات أسلوبية أثْرت الخطاب الشعري، بل إنها أطلقت العنان للنص الشعري المعاصر وحررته من القيود الشكلية و من الروح الخطابية والغنائية واللغة الخطابية إلى روح الاحتفاء بصوت النص في تعالق وثيق مع الذات وهذا بناء على قول بول ريكور Paul Ricœur عن السرد بأنه: « مصدر أولي من مصادر معرفة الذات ومعرفة العالم»23-،فقد ربط السرد بالذات التي هي عنوان الهوية الشخصية والأداة التواصلية بين المجتمعات وما يميز قصيدة الحداثة أنها تعبّر عن مقصدية جمالية وفنية نابعة من عمق التصور وأصالة التجربة؛ كل هذا يؤدي دورا مهما في ثراء الخطاب الشعري، وما الانفتاح على مقومات السرد؛ إلا دليل صحة على جدارة هذه القصيدة وقدرة حضارة يقول سعيد يقطين: «...فالحضارة العربية لا يمكن إن تقوم على الشعر فقط ولكن على السرد أيضا.. »[24]؛ هذه الأخيرة التي تفتح منافذ لتعابير أسلوبية، تعتمد على عبور الأجناس فيما بينها؛ هذه المنافذ تزيد قصيدة الحداثة مطاوعة ، وتتعامل مع الأنواع الأدبية الأخرى بأريحية إبداعية؛ تستمد منها حرارة التجربة وتوهجها المفضي إلى إضاءة المظلم في الذات والعالم.

وإذا انطلقنا من منطلق اعتبار قصيدة الحداثة تستثمر الملمح السردي؛ لإضفاء حياة جديدة متسمة بالحيوية والابتداع، والإسهام في فعالية الخطاب الشعري وتخصيبه، والأكثر من ذلك يشحن النص الشعري بإمكانات تعبيرية تحفل بالخرق

وتخطي الألوف في المنجز الشعري السالف؛ حتى تستطيع « الوصول إلى مواقع في النفس الإنسانية تختلف عن المناطق التي يصل إليها النثر... إنها مناطق الحدس والدهشة والذهول وما لا يمكن ضبطه وتحديده»[25]

تسهم البُنى السردية في تشكل النص الشعري وتألّقه، لكنّها لا تطغى عليه، ولا تظهر في شكل بارز يمسّ هيبة القصيدة بل تتعاضد هذه البُنى مع عناصر الخطاب الشعري لإبداع النص وتوهّجه، وخلق دفقات شعوريّة ودلاليّة، وأهمّية السرد في الشعر الحديث كسائر التقانات الحديثة المستخدمة في جسد النص، تكمن في الإفادة من المزايا السرديّة المستخدمة في الأجناس الأدبيّة الأخرى، فعندئذٍ تؤدّي النصوص الشعريّة وظائف دلاليّة وجماليّة، وتظهر للمتلقي بحلّة جديدة خصبة المضمون، فتشدّه نحو التفاعل والتأثّر بثيمات النص. وقد يُوجَد السرد بكثافة في القصيدة النثريّة لما يقتضيه الأمر.

2- القصيدة السردية و التجربة الحكائية:

إن السرد من المصطلحات الحديثة التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيويّة؛ فقد اهتمّ الباحثون بدراسة السرد في النصوص النثرية والشعرية الحديثة لما له من دور هامّ في بناء النص وخلق دفقات شعورية، وثيمات دلاليّة تجعل النص في حالة متحرّكة تشدّ المتلقي نحوها، فالسرد طريقة للقص أو الحكي يعيد بها السارد بناء المتن الحكائي أو المادة الأوليّة للقص لينتج نصّاً سردياً بعد أن يعيد ترتيب أحداثه بطريقة تتوخّى الجمال الفني, يهتمّ السرد بشؤون الحكي وكل ما يمتّ إليه بصلة من الراوي، والمروي له، والتقنيات السرديّة، وغيرها، فعلم السرد لا يحصر مجال بحثه وموضوعه بلون من ألوان الأدب، بل اتّسع ليشمل فن الرواية والقصة، والحكايات الشعبيّة، والأساطير، والنصوص الشعرية، والأحلام والأفلام والدعايات والخطابات السياسيّة وكذلك الموسيقى وفن الرسم والأخبار اليوميّة والنص الشعري

العربي المعاصر تميز بعدة خصائص سردية، محاولا الاقتراب من التجربة الحكائية،جاعلا من القصيدة متتالية من الأحداث الدرامية، مما يجعل المتلقي متشوقا لملء الفراغات ، وتحقيق المتعة الجمالية،حتى أصبحت القصيدة السردية المعاصرة من أهم الأساليب الناجحة في تشكيل الروح الجماعية التي تتميز بالدرامية ومنه كان السؤال: كيف تجسد البناء الدرامي بآليات السرد في قصيدة " شيء من سيرة الطفل المشاغب " لـ: " عز الدين ميهوبي " وهل تحقق التداخل الإجناسي بين الشعر والنثر على أساس من المصطلح النقدي: النص المستقبلي أو النص المزيج ؟

تعتبر قصيدة " شيء من سيرة الطفل المشاغب "للشاعر عزا لدين ميهوبي نموذجا لنص شعري جزائري معاصر يغلب عليه ملمح البناء السردي من خلال الحدث المأساوي الذي يصور مشاهده و تفاصيله بتقنية نقل النص من الواقع الإنساني إلى الواقع النصّي.

تستمدّ القصيدة " دهشتها الجمالية من بعدها الإنساني، إذ ترسم صورة الطفل الذي هزّت وفاته العالم. إنه محمد الدرّة، الذي لم يعد يرمز لشخص محمد الدرّة فحسب، بل صار علما لمأساة اسمها الوجود الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي. ومن خلال ذلك: مأساة الوجود الإنساني في ظل الهيمنة والاعتداء الشاعر أراد من خلال العنوان أن يقدم قصيدته الملحمية وفق هذا البعد لتكون لوحة للحياة بما تحمله من تناقض وصراع بين الحزن والفرح والموت والحياة من خلال بعض العناصر المكونة للطبيعة وهي عناصر: الأب– الأم – السوق: ليس لدي– عيناك محمرة....

تبدأ القصّة بحوار هادئ بين الطفل وأبيه، زمانه الليلة السابقة للحدث المأسوي، وفضاؤه بيت الوالد وأحلام الطفولة، حيث يترجى الطفل أباه في أن يأخذه إلى السوق فغدا يوم راحة، أمل الأطفال في التسوق، وشراء الحلوى، والألعاب،

والكراريس، ووصايا الأم حول ما قد يغفل عنه الوالد. كل ذلك أسرّ به الابن إلى أبيه ليلا. و بعد أن انتزع الابن من أبيه وعْدا بالذهاب، يخلد إلى النوم.

« أَبِي خُذْنِي غَدًا للسُّوقِ
إِنَّ غَدً الَنَا رَاحَهْ
وَإِنِّي أَعْشَقُ الْحَلْوَى
وَلَيْسَ لَدَيَّ مَا يَكْفِينِي مِنَ الأَلْعَابِ
فِي السَّاحَهْ
وَلَيْسَ لَدَيَّ كُرَّاسَ الأَنَاشِيدِ ..
وَلَيْسَ لَدَيّ قَدَّاحَهْ
وَأُمِّي تَبْتَغِي" شَالا" وَمِرْآةً ..
وَتُفَّاحَهْ
سَنَذْهَبُ يَا بُنَيْ لِلسُّوقِ
نَمْ .. عَيْنَاكَ مُحْمَرَّهْ.. »[26]

أسلوب القصيدة تجتمع فيه الطرائق السردية، التي تقوم على أركان تجعل النص الشعري متشبعا بالمعاني بوجود: راوي وأزمنة وأمكنة وأحداث وشخصيات تتعايش معا في تماهي، لتشكل للمتلقي سردا قصصيا ذا أبعاد وأحداث يقوم فيها الشاعر بدور الراوي، يبوح فيها بأفكار تعبر عن قناعة راسخة وممثلة في حق الوجود الفلسطيني على أرضه رغم المآسي والمكائد فالشاعر: السارد، والمسرود له:الشعب الفلسطيني والإنسانية بعامتها وخاصتها،وتظهر الشخصيات:إذ تعد العنصر الأهم في القصة،لأنها تقوم بالبناء داخل القص يقول عبد المالك مرتاض:« هي كائن حي ينهض بالعمل السردي ينهض بوظيفة الشخص دون أن يكونه» [27] فالشخصية الرئيسة هي التي تقوم بالدور كاملا وتنال قدرا من الاهتمام وقد تظهر في شكل واحد أو اثنين أو ثلاثة في هذا النص:

الراوي نفسه: قام الشاعر بسرد الأحداث التي انبنى عليها العمل،مصورا الحال المعاش في صورة الطفل محمد الدرة، الذي يحمل نداء كل الأطفال الذين هم في سنه وحاجتهم الطفولية للعب داخل الروضة،هنا الطفل يحلم فتقنية الاسترجاع في ذاكرة الراوي هي الذاكرة نفسها في قصيدة اللعنة والغفران ، فقد استخدم الشاعر تقنية الاسترجاع لتعميق الإحساس الذي يعيشه بطل قصته وتبيان مفارقة بين زمنين ومدى تأثره وحزنه وبكائه،ويأتي دور السارد (الراوي) ليقص حكاية الطفل محمد الدرة، ويصوّر بالكلمات مأساته في بناء درامي، يجعل المشاهد و كأنها ماثلة للعيان. و يزداد الصراع حدّة، والمواقف توترا، كلما تكاثرت خيوط البناء، واقتربنا من العقدة، التي فجّرت الموقف، وحوّلت الحدث من أن يكون موتا عاديا إلى موت مفعم بروح الثورة والشهادة والخلود.

ها هو محمد الدرة، الذي كان يُنتظر منه أن يغرق في حلم طفولي، يواصل فيه ما همس به في قرارة نفسه أياما، وصرّح به لأبيه ليلا، يتحوّل حلمه إلى مشاهد، تختلط فيها رؤيا الفتية في سجن يوسف، حيث الطير تأكل الخبز من فوق رأس أحدهما، وسفر ذي القرنين إلى تخوم الشمس وأطفال الحجارة وضغط الاحتلال، فحضور الزمن والمتمثل في الليل:–النوم– بصيغة الماضي (نام)– الثنائية الضدية– لم يحلم–نفي الفعل في الزمن الماضي باستعمال الفعل المضارع للدلالة على استمرار نفي وقوعه في الحاضر–ثم ورود الفعل الماضي –رأى– والرؤية غير الحلم–مع توظيف حرف النفي –لا– ثم العودة بالفعل الماضي بمرادف رأى –أبصر فالشاعر يتلاعب بتقنية السرد، بتواتر الزمن الذي تتحرك فيه الأحداث، لأن النص يشكل في جوهره بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات فالزمن هنا داخلي حركته هي حركة الشخوص،فالمنطق السردي هو الذي يوضح الزمن السردي على رأي رولان بارت مثل الشأن في الأزمنة النحوية في اللغة ، وهو زمن دلالي

« وَنَامَ مُحَمَّدُ الذُّرَّه
وَلَمْ يَحْلُمْ بِكُرَّاسِ الأنَاشِيدِ
وَلا بِالشَّالِ وَالْمِرْآةِ وَالْحَلْوَى
وَلا ثُقَّاحَةِ الْعِيدِ
رَأَى طَيْرًا تُخَضِّبُ رِيشَهُ الحِنَّاءُ
يَكْبُرُ فِي الْمَدَى زَعْتَر
وَأَبْصَرَ فِي تُخُومِ الشَّمْسِ دَالِيَّةً
مِنَ النَّارِ ينْجِوَ الْعَنْبَر
وَأَطْفَالا عَلَى أَسْوَارِ "رَامَ الله"
وَفِي بَوَّابَةِ الأقْصَى ..
وَخَلْفَ حَدَائِقِ النَّلَّه
بِأَيْدِيهِمْ وُرُودُ الصَّبْرِ ..
قُمْصَانٌ
وَمِقْلاعٌ ..
وَبَعْضُ حِجَارَةِ الإسْفَلْتِ مُبْتَلَّه...[28]

تتمو معالم هذه المأساة الدرامية وذلك بتصوير فضاءات الحكي وأمكنتها وأهميتها فهي عند غاستون باشلار Gaston Bachelard حين يتحدث عن الفضاء السردي يقول:« إن كل أماكن لحظات عزلتنا الماضية، والأماكن التي عانينا فيها،من الوحدة والتي استمتعنا بها،ورغبتنا فيها وتآلفنا مع الوحدة، تظل راسخة في داخلنا لأننا نرغب أن نبقى كذلك»29 فهذه القصيدة في فضاءات أحداثها المتوهمة أو الواقعية، حيث لا يخلو أي مشهد شعري من مفارقة تصويرية تزيد من حدة التوتر، فالأطفال الذين كان من المفترض أن يمسكوا بأيديهم الأقلام والدفاتر، إذا بهم يمسكون الحجارة والمقالع والأحلام التي يتوقع منها الإغراق في عالم الطفولة البريء

إذ بها توغل في حيثيات الواقع الفلسطيني الذي صنعه الكبار، ولم يتركوا فيه فسحة أمل للصغار، ويواصل الراوي سرد ما رآه محمد الدرّة في حلمه:

رَأَى الأَطْفَالَ ..
وَلَمْ يَكُ بَيْنَهُم يَبْكِي
فَيَسْمَعُ صَوْتَ وَالِدِهِ
مُحَمَّدُ إِنَّهُ الْوَقْتُ ..
أَبِي كَانُوا هُنَا وَأَنَا بَعِيدً اعَنْهُمُ وكُنْتُ ..

الذات الشاعرة تحاول قدر الإمكان أن تحوّل المكان سرديا إلى فضاء مليء بالأحداث المهولة التي أصابته، بفعل عوامل الحياة المدنية التي تبتلع كل ما هو حميمي، فجاء السرد مسترسلا يبين مكابدة الذات مع عالم سنته الجلبة، ولا وجود للحياة في مكان تغتصب فيه الحياة. فالشخصية الساردة تتخذ موقفا رافضا تجاه هذه التخريب الذي تتعرض له الذاكرة فتشكيل المكان سرديا تمّ عبر صور شعرية ضاربة في متخيل الطفولة بما تحمله من مشاعر بريئة؛ لكن الذات، عبر آلية الحفر الباطني، تكشف القلق الذي يساورها أمام مجابهة هذا الواقع الشرس، وعليه فالشاعر« يقهر الوجود الهش بإعادة صياغته جماليا حتى يتطهّر من درن الواقع الباطش»[30]

أبي : لا تقل شيئا بنيْ . .
يا أبي لا تنزعج منّي
فإني عاتب عني
وإني محمد الدرّةْ
دمي للتربة الحرّه
محمد يا أبي طفلٌ
فلسطينيةٌ عيناهُ

قدسيّ المواعيد

ولم يحلمْ بكراس الأناشيد

ولا بالشال والمرآة والحلوى

ولا تفاحة العيد

أنا طفلٌ لمجد الأرض

في عصر العبابيد [31]

يقوم السرد على خلق أنساق عبر تعاقب تراكيب تتخذ من ذلك التعاقب مسار نظم يمتد على مساح أفقية ما يمكن الشاعر من شحن لغته بطاقات تنعتق من أسر النظام الشعري إلى تعابير منعتقة من محددات الإيقاع، ومنفلتة من قوالب البحر، وتقييد القافية إلى فضاءات السرد في فعل الحكي من خلال مشاهد وصفية وأحاديث سريعة تتوالى وفق تراتبية تحد من سيطرة النظام الشعري، الذي يخضع لها ما يمنح اللغة القدرة على الانتقال بالنص المسرود إلى علاقات جديدة، وأنماط كلامية تتجاوز مألوف اللغة على المستوى التركيبي لتشكل لغتها الجديدة التي تعتمد على السرد في تشكيلها المتجدد القائم على التنويعات وفق النمط البنائي السردي، حيث تقسم البنى السردية إلى نمطين:

أ ــ البنى السردية المتشابهة: وهذا النوع يقوم على تكرار بنيات متشابهة من حيث التراكيب اللغوية ، أو الصيغ الاشتقاقية أو الأسلوب التعبيري ، يقول : من بنية النداء : يا أبي لا تنزعج منّي فإني عاتب عني . وقد كرر أسلوب النداء : يا أبي طفلٌ فلسطينيةٌ عيناهُ.

من تكرار التركيب الخبري قوله : وإني محمد الدرّةْ ..دمي للتربة الحرّه

وقد شكّل تكرار هذا الخبر لازمةً في النص الشعري في تأكيد من الشاعر على قضية الحق الذي لن يموت ثم قوله: أنا طفلٌ لمجد الأرض ، كما فيه تأكيد على أهم العوامل التي تجمع الفلسطينيين.

ب ـ البنى السردية المتجاورة :

تتنوع لغة الخطاب كما تتنوع الضمائر ، وتتناوب لغة السرد ، وأساليب اللغة الإنشائية المتنوعة من: استفهام ونداء وخبر ،: **سَنَذْهَبُ يَا بُنَيْ لِلسُّوقِ.....**

. .لا تقل شيئا بنيْ..... هَلْ يَدْرُونَ أَنَّ الأَرْضَ مُحْتَلَّه؟

ورسم الشاعر للمكان في النص الأدبي يختلف عنه في الواقع الجغرافي، لما يقوم بفعله الخيال الشعري من إضافات وإيحاءات تحيل على مرامي النفس التي تتعلق بالمكان بوصفه واقعاً موضوعياً يرتبط بالتراث الوجودي للشاعر، ما يمنح المكان في القصيدة بعده الجمالي، كما يتمدد الزمان الذي لا يصبح مدة زمنية محددة بالساعات والأيام ، وإنما يتحول الزمن إلى استحضار وجودي متسلسل، يربط عناصر الزمن من ماض مستذكر إلى حاضر يجري فيه الحدث وصولاً إلى المستقبل الذي يستشرفه الشاعر زمناً متصوراً، وفي قصيدته نجد الزمن يتداخل من خلال تصاعد درامي يجعل للزمن بعداً جديدا، أما الحبكة في العمل السردي هي التي تستقطب الأحداث، وهي العقدة التي تقوم عليها حركة البناء القصصي الذي تتعاقب فيه الأحداث، وتتوالى مسيرة الشخوص فيه ضمن مكان وزمان محددين، وحوار كاشف للخصائص النفسية للشخصيات، والحبكة قي السرد هي« : **مفتتح الكلام واللحظة الحرجة التي يبدأ منها السرد»** [33].

إن حكاية محمد الدرة تعد متخيلاً حكائيا لذلك الطفل الفرح المشاغب الذي يلح على أبيه لكي يأخذه إلى السوق ويشتري له كراسات المدرسة وهدية لأمه، والأب يريد أن يتملص من إلحاحه لأنه عاطل ولا يمتلك ما يشتري له به ما يريده، ولكنه

خرج به في النهاية، وحاصرهما الرصاص، وعبر حوارية شعرية حزينة يقدم الشاعر لقطات اللحظات الأخيرة بين الأب وابنه والرصاص يصلهما من كل جانب، وتخرّق ذلك الجسد الطفولي الغض لقدْ قدّمَ الشاعرُ عز الدين ميهوبي في قصيدتِهِ - (شيء من سيرة الطفل المشاغب) شكلا جديداً للكتابة الإبداعيّة، التي ترفض مقولةَ الحدود بين الأجناس الأدبية، وتؤكّد انحيازَها إلى قانون الإبداع الذي يعني تجاوز المألوف، وتخطّي المتعارف عليه.

فالشاعر المبدع هو الذي ينسج من خياله الشكل اللغويّ الذي يُعبّر من خلاله عن قانونه الخاص الذي لا يعترف إلا لذاته في هذا النسيج، بعيداً عن تصنيفات المُسمّيات النقديّة والمدارس الشعريّة؛ إذ لا يمكن« للعمل الإبداعي العيش في الفراغ وبمعزل عن الواقع، ولا يمكن لقضايا الجدة الاعتباطية والحداثة المجردة والابتكار البحت والخيال الجامح أن تؤدي وحدها منعزلة، إلى الأعمال الإبداعية الحقيقية، دون ارتباطها بإطار ظرفي معين وسياق محدد» .[34]

خاتمة:

ما تخلص إليه محصلة القراءة وفق نظرية تطور الأجناس الأدبية وتمظهرها في هذا البحث، هو تحوّل النص الشعري إلى طابع تمثيلي. تتجسّد فيه الرؤى والمواقف وتتفاعل فيه الشخصيات مع الأحداث في الزمكانية،وما ينتج عنها من حركة، وانفعال، وتأزم، وصراع، يزيد من فاعلية التأثير على المتلقي، وينقل النص الشعري من نقاء النوع الأدبي إلى تهجينه.

الهوامش:

* القرآن الكريم برواية ورش

1- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت ط 1972 ص30.

2- الجاحظ عثمان بن بحر:الحيوان،تح،عبد السلام هارون:الهيئة المصرية العامة- القاهرة،ط،1976 ص71.
3-ابن طباطبا: عيار الشعر،تح،عبد العزيز المانع- د، العلوم الرياض ط1985 ص5.
4-قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح : كمال مصطفى، م الخانجي- القاهرة ط 1963 ص12. 5--شوقي ضيف:الفن ومذاهبه في الشعر العربي،دار المعارف كورنيش النيل، ط11919، 14ص.
6- أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد العربي الحديث، دار الثقافية- عمان،ط1 ، 2012ص31
7-هشام عبد الله:التجربة الشعرية العربية-دراسة ابستولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة- د،مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان الأردن ط1-2013-ص.231
8- سورة سبأ، الآية .11
9- ابن كثير:،تفسير القرآن ،تح:محمد حسين شمس الدين، الناشر ،د- الكتب العلمية ج.
10- رولان بارت:
11-رونيه ويليك:مفاهيم نقدية- عالم المعرفة، تر:محمد عصفور، سلسلة المعرفة- الكويت ، ع 110،س 1987 ص376
12-رشيد يحياوي: الشعرية العربية: الأنواع والأغراض، إفريقيا الشرق، ط1، 1991، ص -10.5
13- أدونيس: مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص.12
14- رينيه ويلك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة 110،الكويت، فبراير 1987، ص 176.
15- عبد الناصر هلال: تداخل الأنواع الأدبية وشعرية النوع ، المملكة السعودية،ط1، 2012،ص 19.
16-أحمد مداس: السردي في الخطاب الشعري، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير ? بسكرة ? العددان العاشر والحادي عشر، يناير/ يونيو 2012، ص 34 و35.
17- إدوار الخراط : الكتابة عبر النوعية : مقالات في ظاهـرة « القصة- القصيدة» ، دار شرقيات، ،1994 - ص14.
18-عادل بدر:عناصر السرد ودورها في الشعر،مقال ،ب جريدةالالوطن،9ماي2019ع8649

19-إدوار الخراط : الكتابة عبر النوعية، مرجع سابق، ص 19.
20- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري- إستراتيجية التناص، د، التنوير ط ن - بيروت،لبنان/ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3-ص149-1992.
21-ا أحمد مداس: سيمياء السرد الشعري ، مركز الكتاب الأكاديمي ط1، 2018 ص40
22- عبد الرحمن حجازي: الخطاب والأسلوبية دراسة في الشعر الفاطمي، د ط، مركز الكتاب الأكاديمي 2020 ، ص49.
23-بول ريكور :الوجود والزمان و السرد:تر، سعد الغامدي ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،بيروت ط1 1999 ص31
24-سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط:2006، ص25.
25- ثابت الألوسي: شعرية النص، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص20.
26- عز الدين ميهوبي: ديوان عناقيد لميلاد الفجر، منشورات أصالة، د ط الجزائر 2010، ص 3، ص12
27- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر ط 1995 ص126 .
28- عز الدين ميهوبي: عناقيد لميلاد الفجر، ص 3 .
29-غاستون باشلار :جماليات المكان-تر: غلب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1،بيروت، لبنان 2000ص40.
30 -عبد الناصر هلال: قصيدة النثر العربية، م. مذكور، ص 228.
31- عز الدين ميهوبي ينشد للوطن والأمة وأحلام المتعبين المصدر : الشارقة - محمد ولد محمد سالم، تاريخ النشر: 2013/01/28
32-سامح الرواشدة : منازل الحكاية دراسات في الرواية العربية دار الشروق ، عمان ، الأردن ، 2001 م ، ص 141.
33- صدام علاوي سليمان الشايب: البناء السردي و الدرامي في شعر ممدوح عدوان، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة 2007 .
34-مصدق الحبيب :حول عملية الخلق والإبداع في الفن والأدب .